زَيْد بن حارثة الكلبيّ
القائد الشهيد

اللواء الركن : محمود شيت خطّاب *

نسبه وأيامه الأولى :

هو زيد بن حارثة بن شَرَاحِيْل بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامِر ابن النُّعمان بن عامِر بن عَبْد وُدّ بن عَوْف بن كِنَانة بن عَوْف بن عُذْرَة بن زيد اللَّات بن رُفَيْدَة بن ثوْر بن كَلْب بن وَبَرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن الجاف بن قُضَاعة بن مالِك بن عمرو بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وإلى قحطان جماع اليمن (١)، وربما اختلف الذين نسبوه في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها (٢) ونقص شيء فيها(٣).

ومن المعلوم أن العرب كانوا ولا يزالون يهتمّون بحفظ أنسابهم تسجيلاً ورواية، ومصادر الأنساب في التراث العربي كثيرة جداً، وحتى اليوم إذا زرت حياً من أحياء العرب، وسألت طفلاً من أطفاله عن نسبه، سرد عليك نسبه إلى بضعة أسماء أو أكثر، وحفظُ الأنساب غير معروف عند غير العرب من الأمم

---

* ورد لكاتب البحث ترجمة في العدد العاشر صفحة ٢٣٣.

(١) طبقات بن سعد (٣/٤٠) وانظر أنساب الأشراف (١/٤٦٧) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٥-٦٦) والاستيعاب (٢/٥٤٢).

(٢) الاستيعاب (٢/٥٤٢) وأسد الغابة (٢/٢٢٤).

(٣) أسد الغابة (٢/٢٢٤).

الأخرى، فلا غرابة في تشكيكهم باستمرار في صحة الأنساب العربية ودقتها، والمرء عدو ما جهل.

ولا مجال للعربي الأصيل أن يتقبل تشكيك غير العربي بصحَّة أنساب العرب، ولكن الشك ينحصر في دقَّتها، وبخاصة إذا ارتفعت إلى عهود سحيقة في القِدَم.

وأم زيد : سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامِر بن أفلتَ من بني مَعْنٍ من طيّءٍ (١).

وزارت سُعْدى أمّ زيد قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القَيْن بن جَسْر في الجاهلية فمرّوا على أبيات بني مَعْن رهط أمّ زيد، فاحتملوا زيداً إذ هو يومئذٍ غلام يَفَعَة قد أَوْصَفَ (٢)، فوافوا به سوق عُكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ لعّمته خديجة بنت خُوَيْلِد بأربعمائة درهم، فلما تزوَّجها رسول الله ﷺ، وهبته له، فقبضه رسول الله ﷺ (٣).

وفي رواية أخرى، أن زيداً كان قد أصابه سباءُ في الجاهليّة، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَاشة، وهي سوق بناحية مكة كانت مَجْمعا للعرب يتسوّقون بها في كلّ سنة، اشتراه حكيم لخديجة بنت خُوَيلد، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ (٤).

وقيل : رآه النبي ﷺ يُنَادى عليه بالبَطْحَاء (٥)، فذكره لخديجة،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٠/٣) وأنساب الأشراف (٤٦٧/١) وأسد الغابة (٢٢٤/٢) والاستيعاب (٥٤٢/٢) والإصابة (٢٥/٣).

(٢) غلام يفعة : شاب. وأوصف الغلام أو الفتاة : بلغ أوان الخدمة. فأوصف : تم قدّه.

(٣) طبقات ابن سعد (٤٠/٣ــ٤١) وأنساب الأشراف (٤٦٧/١).

(٤) الاستيعاب (٥٤٣/٢).

(٥) البطحاء : المسيل الواسع فيه دقائق الحصى. والمقصود هنا : بطحاء مكة.

فقالت له يشتريه، فاشتراه من مالها لها، ثمّ وهبته للنبيّ ﷺ (١).

ويقال : إنّ رسول الله ﷺ كان ابتاع زيداً بالشّام لخديجة حين توجّه مع مَيْسَرة قيِّمِها، فوهبته له (٢).

والمتفق عليه، أن زيداً أصابه سباء، وكان حراً فأصبح عبداً لخديجة، ثم أصبح للنبي ﷺ، ولا أهميَّة للاختلاف في مَنْ اشتراه ولا في مكان بيعه.

وقد كان أبوه حارثة حين فقده قال :

بَكَيْتُ على زيد وَلم أدْرِ ما فَعَلْ أحَيٌّ فيُرْجَى أم أَتَى دونَه الأجَلْ
فوالله ما أدري وإنْ كنتُ سائلاً أغالكَ سَهْلُ الأرض أمْ غالكَ الجَبَلْ
فياليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ رجعةٌ فحسبي من الدنيا رُجوعُك لي بَجَلْ (٣)
تذكِّرُنيهِ الشَمسُ عند طلوعها وَتَعرض ذكراهُ إذا قاربَ الطَّفَلْ
وإنْ تَعبتِ الأرواحُ هيَّجنَ ذكرَه فياطولَ ما حزني عليه ويا وَجَلْ
سأعمل نصَّ العِيْس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبلْ
حَياتيَ أو تأتي عليَّ منيَّتي وكلُّ امرئٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمَلْ
وأوصى به قيساً وعَمْراً كليهما وأوصى يزيداً ثمّ من بعدهم جَبَلْ

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني يزيد أخا زيد لأمِّه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل (٤).

ثم إنّ ناساً من بني كلب حجُّوا،فرأوا زيداً فَعَرَفهم وعرفوه، فقال : « بلِّغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنّهم جزعوا عليّ » وقال :

أَحِنّ إلى قومي وإنْ كنتُ نائباً بأني قطين البيت عند المشاعر

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١).
(٢) أنساب الأشراف (٤٦٧/١).
(٣) بجل : حسب.
(٤) طبقات ابن سعد (٤١/٣) وأنساب الأشراف (٤٦٧/١-٤٦٨) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٥).

فكُفّوا من الوَجدِ الذي قد شجاكُمُ ولا تَعملوا في الأرض نصّ الأباعر
فإني بحمد الله في خَيْرِ أُسْرَةٍ كرام مَعَدٍّ كابراً بَعْدَ كابِرِ (١)

وانطلق الكلبيون إلى ديارهم، وأعلموا أباه بمكانه، ووصفوا له موضعه وعند مَنْ هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه (٢)، وقدِما مكّة، فسألا عن النبي ﷺ، فقيل : هو في المسجد، فدخلا عليه، فقال : « يا ابن عبد الله! يا ابن عبد المطلب! يا ابن هاشم! يا ابن سيِّد قومه! أنتم أهل الحرم وجيرانه وعند بيته، تفكُّونَ العاني، وتُطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء ». قال : « مَنْ هو؟»، قالوا: « زيد بن حارثة »، فقال رسول الله ﷺ : « فهل لغير ذلك » قالوا : « ما هو؟ » فقال : « دَعُوه، فخيِّروه، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنْ اختارني أحداً »، قالا : « زدتنا في النّصف وأحسنت ». ودعاه النبي ﷺ فقال : « هل تعرف هؤلاء؟ » قال : «نعم»، قال : «مَنْ هما؟» قال : «هذا أبي ـ وهذا عمي». قال : «فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيتَ صُحْبتي لك ـ فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد : «ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم»، فقالا : «ويحك يا زيد! أتختار العبوديّة على الحريَّة وعلى أبيك وعمِّك وأهل بيتك؟!»، قال : «نعم! إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً». فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك. أخرجه إلى (الحجر) (٣) فقال : «يا مَنْ حَضَرَ! اشهدوا أنّ زيداً ابني، أرِثُهُ ويرثني»، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما وانصرفا، فدُعي : زيد بن محمّد، حتى جاء الله بالإسلام (٤).

ويبدو من سياق هذا الحديث، أنّه جرى قبل مبعثه عليه الصّلاة والسّلام،

---

(١) أسد الغابة (٢٢٥/٢) والاستيعاب (٥٤٤/٢) وطبقات ابن سعد (٤١/٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٤١/٣)، وفي أنساب الأشراف (٤٦٨/١) : خرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وجبلة بن حارثة بفدائه.

(٣) حجر الكعبة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٠/٣-٢٢١).

(٤) طبقات ابن سعد (٤١/٣-٤٢) وأنساب الأشراف (٤٦٨/١-٤٦٩) والإصابة (٢٥/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٥-٤٥٧).

وكان قدوم حارثة وأخيه مكّة لفداء زيد قبل الإسلام أيضاً.

ومما يلفت النَّظر، أنَّ زيداً قال لأبيه وعمّه : «إن قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً»، فما الذي رآه زيد في النبي ﷺ؟ حسن الخلق، وحسن المعاملة؟ ذلك صحيح، ولكنّه لا يكفي لاختياره، لأنّه اختيار صعب جداً، لا يكون إلّا من أجل العقيدة وحدها، فهي وحدها تدفع المرء المؤمن إلى التضحية بغير حدود.

وأرجّح أنّ قدوم حارثة وأخيه لفداء زيد، كان بعد الإسلام، وأنّ زيداً كان قد أعلن إسلامه وارتبط ارتباطاً مصيرّياً بالنبيّ ﷺ، فهذا هو الذي رآه زيد من هذا الرجل : النبوَّة».

ولعلّ الدليل على ذلك، ما جاء في مصدر واحد : «أنَّ حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد، ثم ذهب إلى قومه مسلماً» (١). فإسلام زيد هو الذي جعله يختار النبيّ ﷺ على أبيه وأهله، وإسلام أبيه حارثة، هو الذي جعله تطيب نفسه فينصرف راضياً.

إسلام زيد :

كان الزُهريُّ يقول : «أوّل مَنْ أسلم زيد بن حارثة» (٢)، وكان يقول : «أوّل مَنْ أسلم من النساء خديجة، ومن الرِّجال زيد بن حارثة» (٣). وقال غير الزهري، إنَّ أوّل من أسلم زيد بن حارثة (٤).

وكان زيد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، يلزمان النبي ﷺ، وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أوّل النّهار ويصلي صلاة الضحى، وكانت قريش لا تنكرها، وكان إذا صلى غيرها قعد عليٌّ وزيد بن حارثة يرصدانه (٥).

---

(١) تهذيب الأسماء واللّغات (١/٢٠٣).

(٢) أنساب الأشراف (١/٤٧٠).

(٣) أنساب الأشراف (١/٤٧١).

(٤) ابن الأثير (٢/٥٩).

(٥) أنساب الأشراف (١/١١٣) وابن الأثير (٢/٥٩).

وقيل : إنه أسلم بعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان أوّل ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب (١).

وقيل : أوَل مَنْ أسلم خديجة، وأسلم عل بن أبي طالب بعد خديجة، ثم أسلم بعده زيد، ثمّ أبو بكر (٢) رضي الله عنهم جميعاً.

وقيل : أوَل مَنْ أسلم خديجة، ثم آمن من الصبيان عليٌّ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق، ثم زيد بن حارثة (٣).

ولا أرى تناقضاً في تلك الآراء، فأوَّل مَنْ أسلم من النِّساء خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأوّل مَنْ أسلم من الرِّجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأوَّل مَنْ أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأول مَنْ أسلم من الموالى زيد بن حارثة رضي الله عنهم، فهؤلاء هم الأوائل في الإسلام.

وكان هؤلاء النّفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثمَّ تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكَّة وتحدَّث به النَّاس (٤).

وفي مسألة إسلام أولئك النفر السّابقين خلاف مشهور، ولكنّ تقديم زيد على الجميع ضعيف (٥)، ولا مسوِّغ للخلاف، فكلُّهم أوائل في الإسلام، كل فرد منهم الأوَّل على أمثاله من النَّاس، فإذا لم يكن زيد أوّل مَنْ أسلم، فقد كان بالإجماع من أوائل مَنْ أسلم.

في الطائف :

توفي أبو طالب عمّ النبيِّ ﷺ وخديجة أمّ المؤمنين قبل الهجرة بثلاث سنين، وبعد خروجهم من الشِّعب (٦) ـ شِعب أبي طالب، فتُوفي أبو طالب

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٦٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٨).

(٢) أسد الغابة (٢/٢٢٦).

(٣) جوامع السيرة (٤٥).

(٤) ابن الأثير (٢/٥٩).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٢).

(٦) الشِّعب : انفراج بين الجبلين. (ج) : شِعاب.

في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل : ثلاثة أيَّام.

وعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بهلاكهما، فقال رسول الله ﷺ : «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه، وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يُصلِّي، وكان رسول الله ﷺ يُخْرج ذلك على العود ويقول : «أي جوارٍ هذا يابني عبد مناف!»، ثمّ يلقيه بالطريق.

فلما اشتدّ عليه الأمر بعد وفاة أبي طالب، خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقِيْف يلتمس منهم النّصر. فلما انتهى في مدينة الطائف، عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذ سادة ثقيف، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عُمير، فدعاهم إلى الله، وكلمهم في نصرته على الإسلام والقيام معه على مَنْ خالفه، ولكنّهم ردّوه ردّاً غير كريم.

وقام النبي ﷺ، وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم : «إن أبيتم فاكتموا عليَّ ذلك»، وكره أن يبلغ قومه خبر إخفاقه، فلم يفعلوا. وأغروا به سفهاءهم، فاجتمعوا إليه وألجؤوه إلى حائط لعُتْبة وشَيْبَة ابْنَيْ ربيعة، وهو البستان، وهما فيه. ورجع السُّفهاء عنه، فجلس إلى ظلِّ نخلة وقال : «اللّهم إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس! اللّهم يا أرحمَ الرَّاحمين أنتَ ربّ المستضعَفِين وأنت ربي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتَجهّمني، أو إلى عدوٍ ملَّكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أُبالي! ولكن عافيتك هي أوسع. إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بي غضبك أو تُحلَ بي سخطك» (١).

وعاد النبيّ ﷺ أدراجه إلى مكّة، وعاد معه زيد الذي كان يلازمه ملازمة

---

(١) ابن الأثير (٢/٩١-٩٢).

الظل، ولا يفارقه طرفة عين، بعد أن شهد رحلة النبيّ ﷺ إلى الطائف، ورأى بعينيه مالاقاه من صدود وأذى من أجل الدّعوة إلى الإسلام وفي سبيل الله.

الهجرة :

لما أمر النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنّورة، هاجر زيد إليها، فنزل على سعد بن خَيْثَمَة (١).

وقيل : نزل حمزة بن عبد المطّلب، وحليفه أبو مَرْثَد كَنّاز بن حُصَيْن الغَنَوِي، وزيد بن حارثة الكَلْبي مولى رسول الله ﷺ، على كُلْثُوم بن الهِدْم، أخي بني عمرو بن عوف بِقُبَاء، ويقال : على سعد بن خَيْثَمَة (٢).

ومهما يكن الاختلاف في اسم الأنصاري الذي نزل عليه في المدينة أو في ضواحيها، فقد وجد له مستقراً يأوي إليه، ليستأنف جهاده في خدمة الإسلام.

وفي المدينة، آخى النبيّ ﷺ بينه وبين أُسَيْد بن حُضَير (٣)، وقيل : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما (٤). وقيل : إنّ رسول الله ﷺ آخى بين زيد وحمزة وآخى بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر (٥)، وقيل : آخى بين زيد وحمزة. (٦).

ويبدو أنّ النبي ﷺ آخى بين زيد وحمزة قبل الهجرة (٧)، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال، إن حدث به حادث الموت (٨)، أما مؤاخاة المدينة التي كانت بعد الهجرة إليها فقد آخى النبيّ ﷺ بين زيد وأُسَيْد بن حُضَير.

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٤/٣).
(٢) جوامع السّيرة (٨٩)، وانظر طبقات ابن سعد (٤٤/٣).
(٣) المحبَّر (٧١).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢).
(٥) طبقات ابن سعد (٤٤/٣).
(٦) الإصابة (٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٧/٥) وأسد الغابة (٢٢٦/٢).
(٧) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٠٠).
(٨) سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١٦٨/١) والإصابة (٣٧/١).

أما المؤاخاة بين زيد وبين جعفر بن أبي طالب، فقد كان جعفر مهاجراً إلى الحبشة، وعاد منها هو وصحبه من المهاجرين ومَنْ دخل في الإسلام هناك، وقدموا على رسول الله ﷺ في خَيْبَر (١)، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السنة السّابعة الهجرية (٢)، فمن المشكوك فيه أنّ النبي ﷺ آخىَ بين زيد وبين جعفر في تلك السنة المتأخرة من الهجرة، بينما جرت المؤاخاة بعد الهجرة مبكراً.

وهكذا أصبح لزيد في موطنه الجديد، قاعدة المسلمين الأمينة : المدينة، مستقراً يأوي إليه، وأخ يشدّ عضده، ومجتمع يتعاون معه في السرّاء والضرّاء.

في غزوة بدر الكبرى :

خرج رسول الله ﷺ من المدينة باتجاه موقع (بَدْر) يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مُهاجَره (٣)،أي في السنة الثانية الهجريّة.

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها : البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، وكان بين النبيّ ﷺ وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير (٤)، وفي رواية أخرى كان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثد يعتقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد وأبو كَبْشَة وأنسَة موالي رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً (٥)، والرواية الثانية هي المعتمدة لإجماع أكثر المؤرخين عليها.

وكان من الرماة المذكورين من أصحاب النبي ﷺ في غزوة بدر

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٨/١).

(٢) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٣) وفي طبقات ابن سعد (١٠٦/٢) : أن الغزوة في جمادى الأولى سنة سبع الهجرية.

(٣) طبقات ابن سعد (١٢/٢).

(٤) أنساب الأشراف (٢٨٩/١).

(٥) جوامع السيرة (١٠٨).

الكبرى (١)، وكان لهؤلاء الرماة الأثر العظّيم في إحراز المسلمين النصر في هذه الغزوة الحاسمة على المشركين.

وقد قتل من المشركين يوم بدر حَنْظلة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أميَّة، وكان من مشاهير مشركي قريش (٢).

وكان زيد البشير الذي أوفده النبي ﷺ إلى المدينة بفتح بدر (٣)، فقد بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل (السّافلة) من المدينة وبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل (العالية) بشيرين بنصر المسلمين على المشركين في بدر، قال أسامة بن زيد : « فأتانا الخبر حين سوينا التراب (٤) على رُقية ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ قد خلَّفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قدم، فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قُتل عُتْبَة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبيهُ ومُنبِّه ابنا الحجاج! قلت : يا أبتِ! أحقٌّ هذا؟! قال نعم والله يا بُنَيّ! » (٥).

وكان رجل من المنافقين قد قال لأسامة بن زيد : « قُتل صاحبكم ومَنْ معه »، وقال آخر منهم لأبي لُبابة : « قد تفرق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون بعده، وقُتل محمدّ وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرُّعب »، قال أُسامة بن زيد : « فأتيتُ أبي، فكذّب قول المنافقين » (٦).

وهكذا استطاع زيد أن يبدِّد مخاوف أهل المدينة، ويكذِّب إشاعات المنافقين المغرضة، ويعيد الهدوء والاطمئنان إلى المدينة.

---

(١) أنساب الأشراف (٣٢٣/١) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وطبقات ابن سعد (٤٥/٣).

(٢) جوامع السيرة (١٤٧).

(٣) المحبر (٢٨٧) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وأسد الغابة (ط/٢٢٦).

(٤) يريد : دفنوها وسووا التراب على قبرها.

(٥) سيرة ابن هشام (٢٨٤/٢-٢٨٥).

(٦) أنساب الأشراف (٢٩٤/١) انظر المغازي (١١٤/١).

لقد كان دور زيد في غزوة بدر الحاسمة دوراً بارزاً حقّا.

قائد سرية القَرَدَة (١) :

هي أول سرية خرج فيها زيد أميراً، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ، أي في السنة الثالثة الهجريّة. (٢)

وكانت قريش قد حذرت طريق الشام أن يسلكوها، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا قوماً تجاراً، فقال صفوان بن أمية : « إن محمداً وأصحابه، قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامّتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه، مالنا بها نفاق (٣)، إنما نزلناها على التجارة : إلى الشّام في الصيف، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة »، فقال له الأسود بن المطّلب : « فنكب (٤) عن السّاحل، وخذ طريق العراق ».

ولم يكن صفوان عالماً بطريق العراق، فاستأجر دليلاً يدعى : فُرات بن حيّان العجليّ الذي قال لصفوان : « أنا أسلك بك طريق العراق. ليس يطأها أحد من أصحاب محمد، إنما هي أرض نجد وفيافٍ »، فقال صفوان : «فهذه حاجتي، أما الفيافي فنحن شاتون، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل».

وتجهز صفوان، وأرسل معه أبو زمعة بثلاثمائة مثقال ذهب ونُقر (٥) فضة، وبعث معه رجال من قريش ببضائع، وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة

---

(١) القردة : من أرض نجد، بين الرَّبذة والغَمرة ناحية ذات عرق، انظر طبقات ابن سعد (٣٦/٣) ومعجم البلدان (٥٠/٧).

(٢) مغازي الواقدي (١٩٧/١)، أما في طبقات ابن سعد (٣٦/٢)، فجاء : على رأس ثمانية وعشرين شهراً.

(٣) مغازي الواقدي (١٩٧/١)، وفي بعض النسخ : « مالنا بها بقاء ». والنفاق : جمع النفقة.

(٤) نكب عنه : عدل وتنحّى.

(٥) النقر : القطعة المذابة من الذهب والفضة.

وحويْطب بن عبد العُزّى في رجال من قريش، وخرج صفوان بمال كثير : نُقر فضة، وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم، وخرجوا على (ذات عرق) (١).

وقدم المدينة نُعيم بن مسعود الأشجعي، وهو على دين قومه، فنزل على كِنانة بن أبي الحُقيق في بني النضير من يهود، فشرب معه، وشرب معه سليط بن النُّعمان بن أسلم - ولم تحرّم الخمر يومئذٍ - وهو يأتي بني النضير ويصيب من شرابهم، فذكر نُعيم خروج صفوان في عيره وما معهم من الأموال، فخرج من ساعته إلى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا عير قريش وأصابوها، وأفلت أعيان قريش وأسروا رجلاً أو رجلين.

وقدم زيد بالعير على النبي ﷺ، فخمّسها، فكان الخمس يومئذ قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي على أهل السرية.

وكان في الأسر، فُرات بن حيان، فأتى به، فأسلم (٢).

وهكذا صعّد النبي ﷺ بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي على قريش، فهدّد طريق تجارتهم إلى العراق أيضاً، بعد أن هدد طريق مكة - الشام، وطريق مكة - الطائف في غزواته وسراياه السابقة.

سرية زيد إلى سُلَيم بالجَمُوم (٣) :

بعث النبي ﷺ إلى بني سُليم بالجمُوم في شهر ربيع الآخر من سنة ست الهجرية زيداً، فسار على رأس سريته التي لا نعرف تعداد رجالها حتى ورد الجَمُوم ناحية (بطن نخل) (٤) عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرُد، فأصابوا عليه امرأة من مُزَيْنة يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سُليم، فأصابوا في تلك المحلة نعماً وشاءً وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة

---

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق للحج، وهو الحد بين نجد وتهامة.

(٢) مغازي الواقدي (١٩٧/١-١٩٨) وطبقات ابن سعد (٣٦/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٤٢٩/٢-٤٣٠).

(٣) الجموم : أرض لبني سُلَيْم، انظر معجم البلدان (١٤٠/٣).

(٤) بطن نخل : جمع نخلة، قرية قريبة من المدينة، على طريق البصرة، انظر معجم البلدان (٢٢١/٢).

المُزَنِيَّة. فلما قفل زيد بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ للمُزنيَّة نفسها وزوجها، فقال بلال بن الحارث في ذلك شعراً :

لعمرُك! ما أخنى المسُول ولا وَنَتْ حليمةُ حتى راحَ رَكبُهُما معا (١)

وكان الهدف من هذه السرية تأمين المدينة القاعدة الأمينة للإسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل التي حولها، وتشديد وطأة الحصار الاقتصادي على قريش وحلفائها.

قائد سريّة العِيْص (٢) :

بعث النبي ﷺ زيداً إلى العِيْص، وبينها وبين المدينة أربع ليالٍ، وبينها وبين ذي المَرْوَة ليلة، في جمادى الأولى سنة ست الهجرية. فقد بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشَّام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذٍ فضة كثيرة لصفوان بن أُمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع.

وقدم زيد بهم المدينة. فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول لله ﷺ، فأجارته ونادت زينب في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر. إني قد أجرتُ أبا العاص!، فقال رسول الله ﷺ : «وما علمتُ بشيءٍ من هذا، وقد أجرنا مَنْ أجرْتِ»، وردّ عليه ما أُخذ منه (٣).

وهكذا شدد النبي ﷺ الخناق في حصاره الاقتصادي، على قريش التي تعيش على التجارة وتموت بدونها.

قائد سرية الطَّرف (٤) :

بعث النبي ﷺ زيداً على سرية إلى الطَّرف في جمادى الآخرة من سنة

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/٨٦).

(٢) العيص : موضع في بلاد بني سُليم، به ماء يقال له : ذنبان العيص، انظر معجم البلدان (٦/٢٤٨)، بينها وبين المدينة ليالٍ، وبينها وبين ذى المروة ليلة، انظر طبقات ابن سعد (٢/٨٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/٨٧) وانظر مغازي الواقدي (٢/٥٥٣ـ٥٥٥).

(٤) الطرف : ماء قريب من المرقى دون النُخَيْل، وهو على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة باتجاه العراق، انظر معجم البلدان (/٤٣).

ست الهجرية، والطرف ماء قريب من المِراض دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البقرة على المحجة.

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً وشاءً، وهربت الأعراب، وصبّح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليالٍ، وكان شعارهم : أمِتْ... أمِتْ... (١).

وكان هدف هذه السريّة، تأمين المدينة القاعدة الأمينة للإسلام وفرض سيطرة المسلمين على القبائل بالهجوم عليها، لأنّ الهجوم أنجع وسائل الدفاع، إذ أنّ الأعراب إذا لم يُهاجموا من المسلمين، هاجموا المسلمين، كما هو دأبهم .

قائد سرية حِسْمَى (٢) :

بعث النبي ﷺ زيداً على سرية إلى حسمى، وهي وراء وادي القُرى، في جمادى الآخرة من السنة السادسة الهجريّة.

وسبب بعث هذه السرية، أنّ دِحْية بن خليفة الكلبي ـ وكان مسلماً ـ أقبل من عند قيصر الرُّوم وقد أجاره وكساه، فلقيه الهُنَيْد بن عارض وابنه عارض بن الهُنيد في ناس من بني جُذام بحسْمى، فقطعوا عليه الطريق، ولم يتركوا حلله عليه إلا سمل ثوب، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضُّبَيب، فنفروا إليهم، واستنقذوا لدحية متاعه.

وقدم دِحية على النبي ﷺ، فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، وردّ معه دِحية.

وكان زيد يسير اللّيل ويكمن النّهار، ومعه دليل من بني عُذرة، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصُّبح على القوم. فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهُنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا من النَّعم ألف بعير،

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/٨٧) ومغازي الواقدي (٢/٥٥٥).

(٢) حسمى : أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القُرى ليلتان، وبين وادي القُرى والمدينة ست ليال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٧٦).

ومن الشاء خمسة آلاف شاة، ومن السبى مائة من النساء والصبيان.

ورحل زيد بن رفاعة الجُذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إلى رسول الله ﷺ، كتابه الذي كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: «يا رسول الله! لا تُحرِّم علينا حلالاً ولا تُحل لنا حراماً»، فقال: «كيف أصنع بالقتلى؟»، قال أبو يزيد بن عمرو: «اطلق لنا يا رسول الله من كان حيا، ومن قُتل فهو تحت قدمي هاتين»، فقال رسول الله ﷺ: «صدق أبو يزيد».

وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى زيد بن حارثة، يأمره أن يخلي بينهم وبين حُرمهم وأموالهم، فتوجه علي، فلقي رافع بن مكيث الجُهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم. فردها عليٌّ على القوم، ولقي زيداً بالفحلتين، وهي بين المدينة وذى المروة، فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد إلى الناس كلّ ما كان أخذ لهم (١).

وكان الهدف من هذه السرية، تأديب بني جُذام الذين اعتدوا على دِحية ابن خليفة الكلبيّ، وهم يعلمون أنّه أحد المسلمين، وليس النبي ﷺ بالذي يرضى باعتداء أحد على مسلم من المسلمين، لأن الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة.

قائد سرية وادي القُرى (٢):

بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القُرى في رجب من السنة السادسة الهجرية (٣)، لتأديب بني فزارة، فأصيبت هذه السرية وتسلل زيد من بين القتلى وعاد إلى المدينة، فآلى على نفسه ألا يمس رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فزارة (٤).

وفي رواية، أن زيداً خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب

---

(١) طبقات ابن سعد (٨٨/٢) ومغازي الواقدي (٥٥٥/٢ـ٥٦٠).

(٢) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٨٩/٢).

(٤) عيون الأثر (١٠٨/٢).

النبي ﷺ، حتى إذا كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه، لقيه ناس من بني فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنّوا أنهم قد قُتلوا، وأخذوا ما كان معه، ثم استبل (١) زيد، فعاد إلى المدينة (٢)، وهذه الرواية أقرب إلى المنطق والعقل وسير الحوادث.

ويبدو أن المسلمين لم يكتفوا بقطع الطريق التجارية : مكة ـ الشام على تجارة قريش، بل أرادوا استغلال هذه الطريق لتجارتهم بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصادية، ولكنّهم أخفقوا في ذلك، إذ تبيّن لهم أنّ الوقت لا يزال مبكرًا لاستغلال هذه الطريق.

قائد سرية أم قِرفة بوادي القرى :

بعث النبي ﷺ زيداً على رأس سريّة إلى أُم قِرفة بوادي القرى على سبع ليالٍ من المدينة، في شهر رمضان من السنة السادسة الهجريّة، وهي من فزارة من بني بدر.

وخرج المسلمون من المدينة، يكمنون النهار ويسيرون اللّيل، وخرج بهم دليل لهم. ونذرت بهم بنو بدر من فزارة، فكانوا يجعلون ناطوراً (٣) لهم حين يُصبحون، فينظر على جبل لهم مشرِفٍ وجه الطريق الذي يرون أنهم يأتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول : ارحلوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم!.

فلما كان زيد وأصحابه على مسيرة ليلة، أخطأ بهم دليلهم الطريق، فأخذ بهم طريقاً أُخرى حتى أمسوا وهم على خطأ. وعرفوا خطأهم، ثم صمدوا (٤) لهم في اللّيل حتى صبحوهم، وكان زيد نهاهم عن المطاردة، ثم أمرهم ألا يتفرّقوا، وقال : «إذا كبرتُ فكبِّروا»، ثم أحاط بفزارة في بيوتهم، وكبّر وكبّروا فخرج مَسْلَمة بن الأكوع، فطلب رجلاً منهم حتى قتله، وأخذ جارية بنت مالك بن حُذيفة بن بدر وجدها في بيت من بيوتهم، وهي ابنة أم قرفة، واسم أم

---

(١) استبل : أي برأ.

(٢) مغازي الواقدي (٥٦٤/٢) وطبقات ابن سعد (٩٠/٢).

(٣) الناطور : حافظ الكرم، والمعنى هنا : الرّاصد.

(٤) صمدوا لهم : أي ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم، انظر النهاية (٣٧٤/٢).

قِرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كما أخذوا أم قرفة فقتلها قيس بن المحسِّر، وقتل النُعمان وعبيد الله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر (١).

وكانت العرب تقول : «لو كنت أعزّ من أم قرفة» (٢)، لأنها كانت يغلّق في بيتها خمسون سيفاً كلّهم لها ذو محرم (٣).

وعاد زيد إلى المدينة، فقرع باب النبي ﷺ، فخرج إليه مسرعاً واعتنقه وقبله، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه.

أما جارية ابنة أم قرفة، فقد وهبها مسلمة بن الأكوع لرسول الله ﷺ، فوهبها لحزْن بن أبي وهب خال النبي ﷺ، فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها (٤).

وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فزارة، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة، ولقّن فزارة درساً لا ينسونه أبدا كما لقن غيرها من القبائل مثل هذا الدرس.

قائد سرية مُؤْتة (٥) :

بعث النبي ﷺ زيداً على سرية إلى مُؤْتَة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية، وكان سبب بعث هذه السرية أن النبي ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأَزْديّ أحد بني لَهْبٍ إلى ملك بُصرى (٦) بكتاب فلما نزل مُؤْتة عرض له

(١) طبقات ابن سعد (٢/٩٠-٩١)، وفي مغازي الواقدي (٢/٥٦٥) : قُتل عبد الله بن مسعدة، وقُتل قيس بن النُّعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر.

(٢) عيون الأثر (٢/١٠٨).

(٣) عيون الأثر (٢/١١٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/٩٠-٩١) ومغازي الواقدي (٢/٥٦٤-٥٦٥) وانظر عيون الأثر (٢/١٠٧-١٠٨).

(٥) مؤتة، قرية من قرى البلقاء في حدود الشّام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٩٠)، وهي بأدنى بلقاء دون دمشق، انظر طبقات بن سعد (٢/١٢٨). والبلقاء، هي الأردن الحالية.

(٦) بصرى : مدينة من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٠٨).

شُرَحْبِيلْ بن عمرو الغسَّاني فقتله، ولم يُقْتل لرسول الله ﷺ، رسول غيره، فاشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجُرْف (١)، وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله ﷺ : «أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة، فإن قُتل فليرتضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم».

وعقد لهم رسول الله ﷺ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد، وأوصاهم رسول الله ﷺ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مُشيِّعاً لهم حتى بلغ (ثنية الوداع) (٢)، فوقف وودّعهم، فلما ساروا من مُعسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم وردّكم صالحين غانمين! فقال عبد الله بن رواحة :

لكنّني أسأل الرحمٰن مغفرة وضَرْبَةً ذات فرعٍ تقذف الزبدا (٣)

ولما فصلوا من المدينة، سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شُرَحْبِيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه.

ونزل المسلمون (مُعان) (٤) من أرض الشّام، وبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل (مآب) (٥) من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووائل وبَكْر ولَخْم وجُذام.

وأقام المسلمون ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره الخبر... فشجعهم عبد الله بن رُواحة على المُضيّ، فمضوا إلى مؤتة.

ووافاهم المشركون، فجاء مالا قِبَل لأحد به من العدد والسِّلاح والكُراع

---

(١) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشّام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٦/٣).

(٢) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة، سميت لتوديع المسافرين، انظر معجم البلدان (٢٥/٣).

(٣) ذات فرع : أي ذات سعة.

(٤) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز، انظر معجم البلدان (٩٣/٨).

(٥) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، انظر معجم البلدان (٢٤٩/٧).

والديباج والحرير والذّهب، فالتقى المسلمون والمشركون، وقاتل الأمراء يومئذ على أرجُلهم، فأخذ اللِّواء زيد بن حارثة فقاتل، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم، حتى قُتل طعناً بالرِّماح رحمه الله. ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شقراء، فعرقبها (١)، فكانت أوّل فرس عُرقبت في الإسلام، وقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً، ووجد في بدن جعفر اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

واصطلح الناس على خالد بن الوليد، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة وحمى بالسّاقة انسحابهم، فكانت عملية الانسحاب التي طبقها خالد من العمليات الانسحابية الفذّة في تاريخ الحروب.

ولما سمع أهل المدينة بجيش مُؤْتَة قادمين، تلقّوْهم بالجَرْف، فجعل الناس يُحْثُون في وجوههم التراب ويقولون : يا فُرَّار! أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بفُرّار، ولكنّهم كُرَّار إن شاء الله (٢).

وهكذا ضحى زيد بروحه رخيصة في سبيل الله مُقبلاً غير مدبر، رافعاً لواء الإسلام عالياً، لم يعفره بالتراب في حياته، فلما استُشهد لم يُعفَر بالتراب المجبول بدم الشهيد، بل رفعه فوراً القائد الجديد.

الإنسان :

استُشهد زيد في مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية (٣) (٦٢٩م)، وكان النبي ﷺ أكبر من زيد بعشر سنين (٤)، أي أن زيداً ولد سنة (٥٨١م)، لأن النبي ﷺ ولد عام الفيل وهو سنة (٥٧١م)، ومعنى ذلك أن زيداً عاش ثمانيا وأربعين سنة شمسيّة ونحو خمسين سنة قمرية (٥).

---

(١) عرقبها : قطع عرقوبها، وعرقوب الدابة في رجلها.

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٨/٢-١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٧٥٥/٢-٧٦٩).

(٣) تهذيب ابن عساكر (٤٥٧/٥).

(٤) الاستيعاب (٥٤٣/٢) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٧/٥) وأنساب الأشراف (٤٧٠/١).

(٥) أنساب الأشراف (٤٧٣/١).

ولكن هناك نصوص على أنه استُشهد وله من العمر خمس وخمسون سنة (١)، والرواية الأولى أرجح، لأنها المعتمدة عند أكثر المؤرخين المعتمدين.

وكان زيد رجلاً قصيراً، آدم شديد الأدمة، في أنفه فطس (٢)، وفي رواية أنه كان أبيض أحمر (٣)، والتناقض بين الروايتين واضح، والرواية الأولى هي الصحيحة، لاعتمادها من أكثر المؤرخين الثقات.

ولما أتى رسول الله ﷺ خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال : «أخواي ومؤنساي ومحدثاي»، وشهد له رسول الله ﷺ بالشهادة.

ولما أصيب زيد، أتى النبي ﷺ أهله، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب، فقال له سعد بن عُبادة : «يا رسول الله! ما هذا؟»، قال : «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه» (٤) ولا عجب في ذلك، فقد كان زيد حِبَّ رسول الله ومولاه (٥).

وقد دعا النبي ﷺ لزيد وجعفر وابن رَواحة بعد استشهادهم، فقال : اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رَواحة» (٦) .

وقال حسّان بن ثابت يرثي زيداً :

عَيْنِ جودى بدمعك المَنْزُور ... واذكُري في الرَّخاء أهل القُبور (٧)
واذكري مُؤْتَةً وما كان فيها ... يوم راحُوا في وَقْعَةِ التَّغْوير (٨)
حين راحوا وغادروا ثَمَّ زَيْداً ... نِعْمَ مَأوَى الضَّرِيكِ والمأسور (٩)

---

(١) الإصابة (٣/٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦١).
(٢) أنساب الأشراف (١/٤٧٠) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٧) وطبقات ابن سعد (٣/٤٤).
(٣) أسد الغابة (٢/٢٢٧).
(٤) أنساب الأشراف (١/٤٥٣).
(٥) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٤).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٦).
(٧) المنزور : القليل، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه.
(٨) التغوير : الإسراع، يريد الانهزام.
(٩) الضريك : الفقير.

حِب خير الأنام طراً جميعاً سيِّد الناسِ حبُّه في الصُّدور
ذاكُمُ أحمدُ الذي لا سِواهُ ذاكَ حُزّني له معاً وسروري
إنّ زيداً قد كان مِنّا بأمْرٍ ليس أَمْرَ المكَذِّبِ المغرور
ثم جودي للخزرجيِّ بدمعٍ سيداً كان ثَمَّ غير نَزُورِ (١)
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فَبِحُزْنٍ نَبِيْتُ غيرِ سرور (٢)

وقد كان لزيد صلة مباشرة متينة بالنبي ﷺ، فقد آثره زيد على أهله، كما ذكرنا في قصّة محاولة فدائه، فتبناه رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زيد : «ماكنّا ندعوه إلّا زيد بن محمّد، حتى نزلت : ﴿ **ادعُوهُم لآبآئِهِم** ﴾ (٣). فدُعي : زيد بن حارثة (٤)، ودُعي الأدعياء إلى آبائهم، فدعي المقداد بن عمرو، وكان يقال له قبل ذلك المقداد بن الأسود، لأن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبنّاه (٥).

وكان زيد يسمى : زيد الحِبّ، لأنه حِبُّ رسول الله ﷺ (٦) وأبو حبِّه (٧) أُسامة بن زيد الذي فرض له عمر في العطاء أكثر مما فرض لابنه عبد الله بن عمر، وعلّل ذلك عمر لابنه : «إنّه كان أحب إلى رسول الله منك، وإن أباه كان أحب إلى رسول الله من أبيك» (٨) .

وقال رسول الله ﷺ : «يا زيد! أنت مولاي ومني وإلي وأحب القوم إلي» (٩) ، وقال لزيد : «أنت أخونا ومولانا»، وقال : «أنت مولاي، ومني، وأحب القوم إلي» (١٠).

---

(١) أراد بالخزرجي : عبد الله بن رواحة، والنزور : القليل العطاء.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦٢).
(٣) سورة الأحزاب، من الآية]٥[.
(٤) طبقات ابن سعد (٣/٤٣) وأسد الغابة (٢/٢٢٦) والإصابة (٣/٢٥).
(٥) الاستيعاب (٢/٥٤٥).
(٦) أنساب الأشراف (١/٤٦٩).
(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٢).
(٨) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٦١).
(٩) طبقات ابن سعد (٣/٤٤).
(١٠) أنساب الأشراف (١/٤٧٠).

وكانت عائشة أم المؤمنين تقول : «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده استخلفه» (١٤).

وكان النبي ﷺ إذا لم يَغْزُ لم يعط سلاحه إلا لعلي أو لزيد (١٥).

ذلك مبلغ حب النبي ﷺ لزيد وتقديره له، ولن يكون هذا الحب وهذا التقدير إلا لشخصية لها سجاياها المتميزة وإخلاصها النادر وإيمانها العميق.

وزوج النبي ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش زيداً، وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد زيد (٣)، فتكلّم المنافقون والمشركون وقالوا : «محمد يحرّم نساء الولد، وقد تزوّج امرأة ابنه»، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكلِّ شيء عليماً** ﴾ (٤)، ونزلت : ﴿ **ادعوهم لأبآئهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموآ ءابآءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ (٥)، فدعى يومئذ زيد بن حارثة، ونُسب كل من تبناه رجل من قريش إلى أبيه (٦).

وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقول : «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية : ﴿ **وإذ تقول للّذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتُخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى النّاس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فيٓ أزواج أدعيآئهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ (٧) فإن رسول الله ﷺ لما تزوجها، يعني زينب بنت جحش ـ قالوا : «إنه تزوج خليلة ابنه» (٨)، فإن العرب إذا

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٦/٣).
(٢) ، تهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥).
(٣) أسد الغابة (٢٢٦/٢).
(٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٤٠:٣٣).
(٥) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٥:٣٣).
(٦) أنساب الأشراف (٤٦٩/١).
(٧) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٧:٣٣).
(٨) أسد الغابة (٢٢٦/٢).

تبنت غلاماً أنزلته منزلة الولد حتى في الإرث وتحريم نكاح زوجته، وكان من سُنة النبي ﷺ وطريقته، إذا نسخ الله شيئاً من أمر الجاهلية أن يُسرع ﷺ إلى الفعل، ليقتدى به، فلما زوج زينب بنت جحش من زيد وأذن الله بنسخ عادة الجاهلية، أمر الله أن يطلقها زيد ويتزوجها رسول الله ﷺ ليبطل عادة الجاهلية بالفعل، للعلة التي ذكرها الله في كتابه العزيز : (**لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيآئهم**) (١).

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «أحبُّ الناس إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه» ـ يعني زيد بن حارثة ـ أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق (٢).

ومن الواضح، أن النبي ﷺ زوج زيداً زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته، ليبطل عادة الجاهلية في الترفع على الموالي وعدم تزويجهم الحرائر وبنات الأشراف، وكان زواجها بزيد شديداً على نفسها، قالت زينب رضي الله عنها : «خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله ﷺ أستشيره، فقال : أين هي ممن يعلمها كتاب الله وسنة نبيها؟ قالت : ومن هو يا رسول الله؟ قال : زيد! فغضبت حمنة غضباً شديداً وقالت : يا رسول الله أتزوج ابنة عمك مولاك!! فجاءت فأخبرت زينب، فغضبت أشد الغضب من غضب أختها وقالت أشد من قولها، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسولّه أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ (٣)، فأرسلت زينب إلى رسول الله ﷺ تقول : زوجني من شئت، فزوجني من زيد». (٤).

لقد أبطل النبي ﷺ تقاليد الترفّع عن تزويج الموالي بالحرائر من بنات الأشراف وتقاليد تحريم الزواج بامرأة الابن بالتبني، وأعتقد أنه لو لم يطبق إبطال

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٨ـ٤٥٩).
(٢) الاستيعاب (٢/٥٤٦).
(٣) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣:٣٦).
(٤) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٨).

تلك التقاليد عملياً بنفسه وعلى نفسه لصعب تطبيقها على غيره، وهي تقاليد جاهلية بالية أبطلها الإسلام، فجعل التفاضل بالتقوى لا بالأحساب وبالتمسك بالأنساب.

ولست أنسى حديثاً سمعته في المدينة المنورة من شيخ معروف من الشيوخ المسلمين، يستنكر فيه إقدام شخصيات من عوائل عريقة في المدينة على تزويج قسم من بناتهم الشريفات برجال قدّمهم علمهم ومناصبهم الحكومية وأخّرهم نسبهم وحسبهم، وقد مضى على الإسلام خمسة عشر قرناً، وذهبت تقاليد الجاهلية إلى غير رجعة، **وهذا يدل على مبلغ التضحية التي أقدم عليها النبي** ﷺ وعظم الشجاعة التي حقّقها بإقدامه على زواج زينب من مولاه، وزواجها بعد أن طلقها مولاه.

إنّ التضحية والشجاعة المعنويتين اللتين تحملهما الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام في قصّة زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تقلاّن عن أي تضحية وشجاعة ماديتين إن لم تكن أعظم أثراً وأبلغ تأثيراً، فكان القدوة الحسنة والمثال الشخصي في تطبيق أصعب تشريعات الإسلام على نفسه قبل غيره، فاجتث بذلك تقاليد جاهلية بالية، ولكن لا تزال آثارها باقية بين العرب المسلمين حتى اليوم وهناك من لا يتحمل تطبيق اجتثاثها على نفسه من العرب المسلمين غير المؤمنين حقاً من الطيبين الأخيار.

ومادمنا قد تطرقنا إلى زواج زيد بالسيدة زينب، فلا بد من إكمال الحديث عن زواجه بنسائه الأخريات.

فقد زوجه النبي ﷺ مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد (١) حب رسول الله وابن حبه وهي حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته، وكان اسم أم أيمن : بركة، كانت قد تزوجت بمكة في الجاهلية عُبيد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن ثُعلبة بن جشم بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، فولدت له أيمن بن عُبيد، فكنِّيت به. واستُشهد أيمن يوم

---

(١) أسد الغابة (٢/٢٢٦) والاستيعاب (٢/٥٤٦) والإصابة ٣/٢٥).

حُنين، ومات عُبيد عن أم أيمن، فكانت فارغة لا زوج لها، فزوجها رسول الله ﷺ زيداً (١).

وتزوج زيد أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ (٢) فقد أقبلت أم كلثوم بن عُقبة بن أبي مُعيط، وأمها أروى بنت كُريز بن ربيعة، وأم أروى هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المُطلب - مهاجرة إلى النبي ﷺ، فخطبها الزُّبير بن العوام، وزيد بن حارثة، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، فاستشارت أخاها لأمها عثمان بن عفان، فأشار عليها أن تأتي النبي ﷺ، فأتته، فأشار عليها بزيد بن حارثة، فتزوجته، فولدت له زيدا ورُقيَّة، فهلك زيد وهو صغير، وماتت رُقيَّة في حجر عثمان. وطلق زيد أم كلثوم، فخلف عليها عبد الرحمن بن عوف، ثم الزُّبير، ثم عمرو بن العاص (٣). وتزوج هند بنت العوّام أخت الزُّبير (٤)، وكان قد تزوج قبلها دُرة بنت أبي لهب ثم طلّقها (٥).

وتسلسل زوجات زيد بحسب الأقدمية : أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته، ثم زينب بنت جحش، ولما طلق زينب زوجته أم كلثوم بنت عُقبة، ثم طلق أم كلثوم وتزوج دُرَّة بنت أبي لهب بن عبد المطلب، ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام أخت الزُبير (٦)، وهكذا سعى النبي ﷺ أن يزوج زيداً كرائم النساء وأقربهن نسباً به، لأنه حبه ومؤتمنه وموضع ثقته، ولكي يجتث تقاليد جاهلية عريقة بالية في الزواج، ولكن بعض المسلمين عادوا إلى تلك التقاليد الجاهلية البالية، فعادت إلى الحياة من جديد.

وقد استخلف النبي ﷺ زيداً على المدينة المنورة مرتين : المرة الأولى في خروجه إلى غزوة (بُواط) (٧) في شهر ربيع الأول سنة اثنتين

---

(١) أنساب الأشراف (٤٧١/١).
(٢) المحبّر (٤٤٦) وجمهرة أنساب العرب (١١١).
(٣) أنساب الأشراف (٤٧١/١) وانظر المحبّر (٤٤٦).
(٤) الإصابة ٢٥/٣).
(٥) أنساب الأشراف (٤٧١/١).
(٦) الإصابة (٢٦/٣).
(٧) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٧/٢).

الهجرية (١). والمرة الثانية في غزوة بني المُصطلق من خُزاعة في (المُرَيْسِيْع) (٢) قرب مكة (٣) التي كانت في شهر شعبان سنة خمس الهجرية (٤)، وهذا دليل على اعتماد النبي ﷺ على كفاءة زيد الإداريّة.

وأوفده النبي ﷺ من المدينة إلى مكة مع أبي رافع مولاه، فحملا سَودة بنت زمعة، وفاطمة بنت النبي ﷺ، وأم كلثوم ابنة النبي ﷺ، فقدم زيد وأبو رافع بزوج النبي ﷺ وابنتيه المدينة والمسجد يُبنى (٥). وأوفده مع رجل من الأنصار إلى مكة لحمل زينب ابنة النبي ﷺ إلى المدينة، وقال لهما : «كونا ببطن (يَأْجِج) (٦) حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها»، فخرجا إلى مكة بعد غزوة بدر الكبرى بشهر أو قريب منه، فاستلمها زيد وصاحبه، وقدما بها على رسول الله ﷺ(٧)، وهذا دليل على ثقته الغالية بأمانة زيد وحسن تصرفه ورجاحة عقله.

ولم يُسَمِّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب النبي ﷺ وأصحاب غيره من الأنبياء إلا زيد بن حارثة، (٨)، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ (٩) .

روى أربعة أحاديث عن النبي ﷺ (١٠)، وفي رواية أخرى أنه روى حديثين فقط (١١).

---

(١) أنساب الأشراف (٢٨٧/١).
(٢) المريسيع : اسم ماء من ناحية قديد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٨).
(٣) أنساب الأشراف (٣٤٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥).
(٤) أنساب الأشراف (٣٤١/١).
(٥) أنساب الأشراف ٤١٤/١).
(٦) يأجج : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.
(٧) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام، (٢٩٧/٢-٢٩٩) وأنساب الأشراف (٣٩٧/١-٣٩٨) وابن الأثير (١٣٤/٢).
(٨) أسد الغابة (٢٢٧/٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١).
(٩) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٧:٣٣).
(١٠) أسماء الصحابة الرواة (٢٩١).
(١١) تهذيب الأسماء واللغات.

ومضى أبو أُسامة حب رسول الله ﷺ وأبو حِبِّه إلى جوار ربه بعد أن عاش خمسين سنة قمرية، كان فيها منذ عقل إلى جوار رسول الله ﷺ المولى والأخ والحبيب، فأدى ما عليه من واجبات جسام كأحسن ما يكون الأداء، فاستحق تقدير النبي ﷺ وحبه ورضاه، وتقدير المسلمين وحبهم ورضاهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وكان لا يزال وسيبقى أسوة حسنة للمؤمنين المخلصين الصّادقين.

وقد ترك زيد آثاره الباقية في حياة النبي ﷺ وأهل بيته، كما ترك آثاره الباقية في خدمة الدين الحنيف داعياً ومجاهداً، وكان مع النبي ﷺ في السراء والضراء وفي السلام والحرب، رضي الله عنه وأرضاه.

القائد :

بعد عودة النبي ﷺ من حَجَّة الوداع، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من السنة الحادية عشر الهجرية (٦٣٢م)، فأمر بتجهيز جيش كبير فيه أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وسعد بن أبي وقاص وأبو عُبيدة ابن الجرَّاح رضي الله عنهم، وجعل هذا الجيش بإمرة أسامة بن زيد، فتجهّز الناس، وأوعب (١) مع أسامة المهاجرون الأولون (٢)، وأمر رسول الله ﷺ أسامة أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والدَّاروم من أرض فلسطين (٣).

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض النبي ﷺ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم قال : «أيها الناس! انفذوا بعث أُسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها» (٤)، وفي رواية الإمام البخاري، أن النبي ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ : «إن تطعَنُوا في إمارته، فقد كنتم تطعنُون في إمارة أبيه من قبلُ. وأَيمُ الله، إن كان لخليقاً

---

(١) أوعبوا معه : أي خرجوا جميعهم للغزو.

(٢) سيرة ابن هشام (٣١٩/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٢).

(٣) الدَّاروم : قلعة بعد مدينة غزّة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، انظر معجم البلدان (١٣/٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٦٨/٤).

للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إليّ بعده » (١) وهذا تقويم **لكفاية** زيد القيادة **وكفاية** ابنه أسامة القيادية أيضاً، يفوق كل تقويم، لأنه تقويم النبي ﷺ الذي لا يعادله ولا يقاربه أي تقويم آخر.

وقد كانت عائشة أم المؤمنين أقرب المقربين للنبي ﷺ وأعرفهم به تقول : «**ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم** (٢)، **ولو بقي بعده لاستخلفه**» (٣).

ذلك هو مبلغ تقدير النبي ﷺ لكفاية زيد القيادية وثقته الكاملة به واعتماده المطلق عليه، وهو تقدير عظيم وثقة بالغة واعتماد هائل، استحقه زيد بمزاياه القيادية أولاً وقبل كل شيء، فما كان النبي ﷺ يولى ثقته الكاملة إلا لمن يستحقها بجدارة، وكان يبنى الإنسان المسلم بالعقيدة الراسخة، والأسوة الحسنة التي يضربها للمسلمين كافة بشخصه الكريم، وبتوليه الرجل المناسب للعمل المناسب ليقود الأمة أفضل رجالها عقيدةً واقتداراً بالنسبة للواجبات والمسئوليات التي يتقلدونها.

فما الذي يستطيع القادة أن يتعلموه من سجايا زيد القياديّة؟

كان من الرُّماة المعدودين المذكورين(٤) من بين أصحاب النبي ﷺ، أي أنه كان السنّ، والاستمساك بعُرى التفاضل بالأنساب والأحساب والعشائر والقبائل... إن التفاضل في الإسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال، بالإضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب.

وقد رفعت مزايا زيد القياديّة وإيمانه الراسخ العميق إلى الإمارة.

لقد كان لزيد قابلية فذّة لإعطاء قرار سريع صحيح في الوقت والمكان المناسبين، وكانت كل سراياه بحاجة ماسة إلى إصدار قرارات سريعة

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧)، وانظر الإصابة (٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦٠/٥).
(٢) رواه النسائي، انظر فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧).
(٣) طبقات ابن سعد ٤٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦١/٥).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) وطبقات ابن سعد (٤٥/٣).

وصحيحة، وحين وجد العدو في سريّة مُؤْتة قد حشد له ما لا قبل للمسلمين به، عزم أن يتريث في قبول المعركة غير المتكافئة ويستشير النبي ﷺ في الموقف الجديد، ولكن المتحمسين من المجاهدين الذين خرجوا للجهاد طلباً للشهادة وعلى رأسهم عبد الله بن رَواحة، أرادوا لقاء العدو مهما تكن نتائج هذا اللقاء، فانصاع زيد لنداء العاطفة، ويبدو أن الأحداث تطورت بسرعة عظيمة فاضطّرت المسلمين إلى قبول المعركة، فكان سرية مُؤْتة إخفاقاً تعبوياً ولكنها كانت نصراً سَوْقياً، جعلت الروم جيران المسلمين في الشمال، يلمسون عملياً بأن العرب بالإسلام أصبحوا خلقاً جديداً، فأصبحت حربهم ليست حرباً عابرة، بل هي حرب لها ما بعدها كأية حرب نظاميّة تتميّز بإرادة القتال وبالنظام والتنظيم والاستمرارية.

وكان زيد ذا إرادة قوية ثابتة، استطاع أن يتغلب بسهولة ويسرٍ على كثير من المصاعب والعقبات في سراياه، التي كان أكثرها يتسم بالمُغامرة والمشاق، **فنجح بفضل إرادة الله على ما صادفه** من معضلات ومشاق.

وكان من أولئك القادة الذين يتحملون المسئولية ويتقبلونها قبولاً حسناً، ولا يتملصون منها بإلقائها على عواتق الآخرين.

وكان ذا نفسية ثابتة لا تتبدل : لا يطربها النصر فيؤدي بها إلى مزالق الشّطط، ولا يقلقها الانتصار فيحملها إلى مهاوي الانهيار، والشطط والانهيار تلحق الكوارث بالقائد ورجاله.

ومادام المرء لا يعمل لنفسه، بل يعمل للمصلحة العامة، وتكون نيته خالصة لوجه الله، فإن نفسيته تكون ثابتة لا تتغيّر.

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم، لأنّه نشأ بينهم وعمل معهم، وعايشهم طويلاً في حالتي الحرب والسلام، إلى جانب النبي ﷺ وأصحابه المقربين وآل بيته الطاهرين، فكان يكلف كل فرد منهم بما يناسب نفسيته وقابليته.

وكان يثق برجاله ثقة مطلقة، ويثق به رجاله ثقة مطلقة، والثقة الأساس

القوي للتعاون بين القائد وجنوده، ولا تعاون بدون ثقة متبادلة.

وكان يحب رجاله حب الأخ لأخيه، ويحبه رجاله حباً لا مزيد عليه، والحب المتبادل هو العامل الحيوي لإرساء أسس التعاون الوثيق الذي يقود إلى النصر.

وكان يتمتع بشخصيّة قوية نافذة، جعلت النبي ﷺ يوليه السرايا التي فيها أمثال أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، ويوليه إمرة المدينة المنورة في بعض غزواته، مما يدل على شخصيته القوية النافذة.

وكانت له قابلية بدنيّة فائقة، ساعدته على قطع المسافات الشاسعة بسرعة، وتحمّل أعباء السفر والقتال، دون كلل ولا ملل ولا تعب ولا إنهاك.

وكان له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة النبي ﷺ.

وكان يساوي بينه وبين رجاله، لا يستأثر دونهم الخير، ويترك لهم المتاعب، بل يؤثرهم بالأمن والدعة والاطمئنان، ويستأثر دونهم بالأخطار والمصاعب والمشاق.

وكان يستشير أصحابه، وبخاصة ذوي الرأي منهم، ويأخذ بآرائهم ويضعها في حيِّز التطبيق العملي.

واستناداً إلى مبادىء الحرب، فقد كان زيد يختار مقصده ويديمه، ويفكِّر في أقوم وسيلة للوصول إليه، ثم يقرِّر الخطة المناسبة للحصول عليه.

وكانت سرايا زيد كلها تعرضيّة، تشيع فيها روح المباغتة، وكانت جميع سراياه عدا سرية مُؤْتة مباغتة كاملة لأعداء المسلمين، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلة قوّاته بالنسبة إلى كثرة قوّاتهم، وبالرغم من وجودهم في بلادهم بينما كانت خطوط مواصلات زيد بعيدة عن المدينة قاعدة عمليات المسلمين الرئيسة.

كما أن زيداً كان يحشد قوّاته قبل الإقدام على خوض المعركة، وكان يديم معنويات تلك القوات، ويمكن اعتبار سراياه في هدفها الرئيس سرايا معنويات بالدرجة الأولى كما ذكرنا من قبل.

وكان يطبق مبدأ الأمن، فلم يستطع العدو مباغتة سرايا زيد في أية معركة خاضها، وحتى سرية مُؤْتة لم يُباغت بتفوّق القوات المعادية على قوات المسلمين عدداً وعُدداً. ولكنه اختار لنفسه الشهادة، فكان له ما أراد.

وكانت سرايا زيد تتحلى بالطاعة المطلقة، وهي ما نسميه اليوم : الضبط المتين، كما امتازت سراياه بالشجاعة والإقدام والجلد والصبر والمصابرة وتحمل المشاق، وهي الصِّفات المعنوية الباقية على الزمان لكل جيش متماسك في كل زمان ومكان.

وكان زيد يتحلى بنفس مزايا جيشه المعنويّة، وكان مثالاً شخصياً رائعاً لسراياه في كل تلك المزايا والصفات.

لقد كان زيد قائداً متميِّزاً حقاً.

زيد في التاريخ :

يذكر التاريخ لزيد، أنه أصاب سباء في الجاهلية، **فطوحت به الأقدار بعيداً عن** أهله ليصبح في كنف النبي ﷺ قبل مبعثه.

وأن أباه وعمه وإخوته أرادوا فداءه، فاختار النبي ﷺ على أبيه وعمه وإخوته، فارتبط مصيره بالإسلام والمسلمين.

وأنه كان أول مَنْ أسلم، أو من أول مَنْ أسلم، فكان أول من أسلم من الموالي بدون خلاف.

وأنه رافق النبي ﷺ إلى مدينة الطائف لدعوة بني ثقيف إلى الإسلام، فشهد أقسى ما لاقاه النبي ﷺ من ثقيف في رحلته الصعبة الشاقة.

وأنه هاجر إلى المدينة المنورة، وحمل معه قسماً من بنات النبي ﷺ وزوجاته.

وأنه شهد بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من غزوات النبي ﷺ، وأبلى فيها أعظم البلاء.

وأنه تولى قيادة تسع سرايا من سرايا النبي ﷺ، فكان أكثر قادة النبي ﷺ في قيادة سراياه.

وأنه الوحيد الذي ذكر بالاسم من بين صحابة النبي ﷺ وأصحاب النبيين والمرسلين في القرآن الكريم.

وأنه كان حِب رسول الله ﷺ وأباحِبِّه أسامة بن زيد الكلبي.

وأنه توّج حياته الحافلة بالجهاد المتواصل بالشّهادة، فضحى بنفسه فداءً لعقيدته، ولم يُضَح بعقيدته فداءً لنفسه.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشهيد، الإداري الحازم، حِب رسول الله زيد بن حارثة الكلبيّ.